

هنا الأنبياء يقتلون

# هنا الأنبياء يقتلون

لظفي حداد

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إلى أنبياء الوطن  
الذين يقتلون  
على رصيف الحرية..  
كي لا ننساهم

لطفى حداد Email: lhadarc@aol.com

**حتى نستريح فيك**

يا أحبائي . . يا عائلتي الكبيرة . . يا أصدقائي الطيبين . .  
كم يصعب عليّ أن أودعكم . . ولا أعرف ماذا سأقول قبيل الانتهاء  
الظاهري لحياتي معكم . .  
عند ساعة الموت . . كل شيء يتجمد . . وربما نظن أنه  
انتهى وزال . .  
لكن مثل خيبة الجنود يوم الأحد  
حين رأوا القبر فارغاً  
أفهم أنه هناك وعندئذ  
قد ابتدأت القصة . .  
بالحب نستطيع أن نفلت من قبضة الموت وليل الفناء . .  
ومثل حبة الخردل الميتة في التراب . . تموت علاقاتنا . . تموت  
لمساتنا وبريق عيوننا . . ثم تخرج بعدئذ . . ساقاً وأوراقاً واخضراراً  
يعلن الربيع . .  
لقد كانت «حياة بيننا وزمان»  
نعم . . لقد كانت «حياة بيننا وزمان» . .  
أحب أن أشكركم على كل شيء قدمتموه إلي  
شكراً لأنكم حملتموني في قلوبكم  
وصرتم عائلتي وأخوتي  
ما أوصيكم به هو الرحمة . .

شرب الشيخ يوحنا كأس الماء المقدم من مريم ونظر من  
جديد حوله فارتعشت روحه بمنظر العروسين وبقع الضوء والوجوه  
النحاسية لنساء ورجال عاش معهم سنين طويلة . . فتشددت  
عزيمته والتمعت عيناه وارتسمت على شفثيه ابتسامة سماوية  
وقال بصوته الهادئ الفرح:

يا أصدقائي

وأحبائي

وعائلتي الكبيرة

كم تفرحني مشاهدتكم هنا حولي في ساعاتي الأخيرة . .  
وكم يسعدني منظر هذين العروسين وقد قرّرا أن يبنيا عائلة من  
الحب والغفران والفرح والحرية . .  
الآن أرحل عنكم وتطلق نفسي بسلام  
لأنني قد عاينتُ بذرة الخير تورق في أرضنا  
وشعلة النور تلمع في وطننا  
لم يعد لي رجاء سوى أن أصير واحداً مع هذه البذرة في الأرض  
وتلك الشعلة في السماء

\* \* \*

القداسة الحقيقية هي الفرح الدائم كالأطفال  
والشكر على كل شيء يأتي من أبينا السماوي . .

\* \* \*

أحبوا من كل قلوبكم . .  
وتذكروا أنه ليس هناك حب حقيقي من غير اضطهاد وغير ألم . .  
إن حباً غير معروضٍ للتجارب  
ولا يمرّ بالضعف  
والألم . . والفشل . .  
يُشكُّ به . .  
وإن حباً مصنوعاً من كل شرّ  
مختبئاً بين الأسوار  
لا تقترب منه نار المعاناة  
يُشكُّ به

\* \* \*

عيشوا بتواضع القلب . .  
إن التواضع ليس إنكار ما لدينا من مواهب  
وقتل ما لدينا من خلق وإبداع

ارحموا بعضكم بعضاً . .  
وتذكروا أن الله غفران ومحبة وفرح وحرية  
انموا واكثروا . .

لأن النمو هو في صميم مشيئة الله رغم أن كل شرائع الدين  
والمجتمع تعمل لحد هذا النمو  
تخطوا إنسانيتكم إلى ما لا نهاية  
وكونوا بحق مجد الله على الأرض  
هذه هي دينوتنا العظمى  
أن نكون مجد الله نحن الملطخين بالضعف والإثم  
انموا وتخطوا الصعوبات  
وكونوا سعداء . .

لا يهم أن تكونوا ناجحين أو منتجين  
المهم أن تكونوا سعداء  
مشكلة الأرض الحقيقية هي أزمة الحب والسعادة  
نقص الحب والسعادة  
تشوه الحب والسعادة

وإن هذا الجنون الرأسمالي لزيادة الإنتاج هو شكل غير واعي لتغطية  
وإملاء فراغنا من الحب  
افرحوا كثيراً . . وكونوا بسطاء كالأطفال . .

لكنه أن تقول لله

أعطني الحجم الذي خلقتُ له

هو أن تؤمن . .

أن مشروع الإنسانية كلّ

يمرّ من خلالك . .

\* \* \*

يا عائلتي الكبيرة . . يا أخوتي وأصدقائي . .

لماذا نخاف دائماً

أن نشبع العطش الحقيقي داخلنا

لماذا نخاف . . أن نفهم . . وأن نؤمن . .

أن الحب هو الجواب

على كل تساؤلاتنا

وأن الحب هو الضمان

لكل مخاوفنا

الآن خبرات البشر مع هذا الجواب وهذا الضمان فاشلة ومؤلمة في

أكثر الأحيان!؟

أما أنا فأقول:

شكراً لك أيها الحب الذي يفقرنا . .

أيها الحب الذي يأخذنا

إلى البعيد

الذي يعلمنا أن نتجاوز أنفسنا

شكراً لك أيها الحب

الذي يعمدنا بالمادة

بالطبيعة

بالفرح والنور

حيث كل شيء . .

وكل شخص . .

طريقه إليك

\* \* \*

اجذبني ورائك أيها الحب . .

أيها الفرح

أيها الغفران

أيتها الحرية . .

اجذبني ورائك

فنجري

قدني أيها الحب إلى ما يتجاوزني . .

أيها المشاعر الشفافة  
أيها النفس الكبيرة  
أيها الروح الثابتة . .

\* \* \*

خذ مني يا الله  
جميع ما ينفع لملكوتك  
وارم البقية

\* \* \*

علمني يا الله  
أن أعطي أفضل ما لدي  
أن أعطي أكمل ما لدي  
أن أعطي جميع ما لدي

\* \* \*

آه يا سيدي  
كم حبك يؤلمني

\* \* \*

تهدج صوت الشيخ يوحنا ثم ردّد من جديد:

قدني إلى البعيد  
أنا لا أطلب منك . .  
إلا أن أكون فيك . .  
ولأجلك . .

ومعك . .

جسدي الصغير . .  
مشاعري المترددة . .  
نفسي القلقة . .  
روحي الضعيفة . .

لا تستطيع أن تستوعب كل جمال حبك . .  
كل رغباتها في أن تكون لك  
لذلك تشهى أن تموت . .  
أن تفنى تماماً

أن يغيب هذا الجسد الصغير  
هذه المشاعر المترددة . .  
هذه النفس القلقة . .  
هذه الروح الضعيفة . .  
وتفنى فيك . .

أيها الجسد الممتد على الكون . .

آه يا سيدي

كم حبك يؤلمني

ثم بدأ يتمتم إحدى الصلوات:

لست شيئاً.. لكنك أنت كل شيء

لا أملك شيئاً.. لكنك تملك كل شيء..

لا أستطيع شيئاً.. لكنك أنت قادر على كل شيء..

وضعف صوته أكثر.. فاقترب بطرس ومريم وأسندا ظهره

إلى وسادتين آخرين.. وأعطياه بعضاً من الماء.. ورفع يوحنا

عينيه وجال ببصره.. على الجمع.. وطلب منهم أن يرددوا معه

كلمات فرنسيس الأسيزي.

نسبحك أيها السيد لأجل الشمس أختنا

فهي جميلة وبهيّة بسناتها

تهبنا النور وتشهد لقدرتك أيها الرفيع المنزلة

نسبحك لأجل إخوتنا القمر والكواكب

فإنك أبدعتها في الجلد

وألبيتها ثوباً ثميناً جميلاً

نسبحك لأجل الهواء

فإنه يهبّ ريحاً ونسيماً ويحمل الغيوم

نسبحك لأجل الجلد الصافي

ولأجل فصول السنة التي تساعد الكائنات في وجودها

نسبحك أيها الرب لأجل المياه

فكلها منفعة وتواضع وقيمة ونقاوة

نسبحك لأجل أختنا النار

فإنها تضيء في الظلام وهي بهيّة ولطيفة

نسبحك لأجل أختنا وأمنا الأرض

فإنها تعطينا القوة بسخاء

وتهبنا الأثمار المتعددة

والزهور النضرة الألوان

والغابات الخضراء..».

يا عائلتي الكبيرة.. يا أختوتي وأصدقائي

هكذا حين لا تملكون شيئاً، تصبح الطبيعة والأرض

والسما والسماء والماء والنار والهواء والشمس جزءاً منكم ولكم..

وتصبحون مع كل شي وكل شخص واحداً..

وعندها تعينون الله..

ثم أغمض عينيه وصارت أنفاسه متهدجة أكثر وكلماته

متقطعة.. وتمتم كلماته الأخيرة:

«لقد خلقتنا لك يا الله

وستبقى قلوبنا في قلق

حتى تستريح فيك»(\*) .

ثم أمال رأسه وانحنى على التراب وفتح ذراعيه ومددهما  
على الصخرة وشهق شهقة عظيمة وأسلم الروح .

---

(\*) القديس أغوستينوس .